زيارة موقع

أبعد ما يكون عن سيرة ذاتية عِلمية

محمد صالح العمري

تُلقي هذه الزاوية الضوء على موقع الكتروني لمبدع عربي من خلال فضاء استحدثته التكنولوجيا وبات أشبه ببطاقة هُوية للكتّاب. هنا وقفة عند موقع الباحث التونسي محمد صالح العمري، استاذ الادب العربي والمقارن في «جامعة اوكسفورد» البريطانية

شوقي بن حسن

قلّما نجد حضوراً لثقافة إطلاق المواقع الإلكترونية الشخصية بين الباحثين العرب، ولعلّ في ذلك سبباً آخر من أسباب عزلة المعرفة في ثقافتنا، حيث أن الموقع الإلكتروني يمثّل إضاءة مكثّفة على منجز بعينه، كما يربط الزائر بعدّة حقول علمية وإشكاليات ومفاهيم تمثّل المساحة التي يتحرّك ضمنها الباحث. من المبادرات العربية القليلة في إنتاج مادّة إلكترونية بحثيّة، نقف على موقع الباحث التونسي محمد صالح العمري (mohamedsalahomri.com)، أستاذ الأدب العربي والمقارن في «جامعة أوكسفورد» البريطانية. وسنجد ضمن تبويبات الموقع تعريفاً موسّعاً بانشغالات الباحث، فنقرأ في خانة «مشاريع» عن عمله على الأدب والعدالة، والتاريخ والأدب، ومدوّنة محمود المسعدي، والآداب التونسية عموماً.

كما سنتعرّف ضمن خانة «إصدارات» على مؤلّفاته، ومعظمها بالإنكليزية، ومنها: «المسألة الوطنية والإسلام والأدب العالمي: مواقع التقاء في كتابات المسعدي» (روتليج، 2006)، و«التبادل التجاري والثقافي في البحر الأبيض المتوسط أوائل العصر الحديث: الأرث البحري لبروديل» (توريس، 2010) بالاشتراك مع المؤرّخين ماريا فوساروكولن هيوود، و«الترافد بين العمل النقابي والثقافة والثورة في تونس» (2016). في حديث إلى «العربي الجديد»، يعود العمري إلى بدايات تفكيره في إطلاق موقع خاص. يقول: «بدأت الفكرة منذ سنوات، يُحرّكها عاملان، أوّلهما الإحساس بأن التواصل أو الحضور الورقي أو عبر مواقع متفرّقة ولغات متعدّدة يضاعف تجربة الشتات التي أعيشها. أما الوازع الثاني، فهو رغبة في وضع كتابات وأفكار ومحاولات بحثية وتدخّلات في الشأن العام على ذمّة القرّاء دون الحاجة إلى اقتناء الكتب والمقالات من ناحية، ومن ناحية أخرى دون مشقّة البحث في مواقع متعدّدة. أي أن الموقع يقدّم نوعاً من القُرب من القارئ والمشاهد».

يفسّر العمري عدم وجود تقليد لدى الباحثين بإطلاق مواقع أسوة بالفنانين بقوله: «ربما بسبب مسألة التخصّص ومحدودية القارئ المختص، يكتفي أغلبهم بالقنوات المألوفة للبحث العلمي من دوريات وكتب وغيرها. وربما كذلك لأن الجامعيين عادة ما يرون أن إنتاجهم الموجّه لعموم الناس، إن وُجد، غير مرتبط بالاختصاص العلمي ويدور في مجال مختلف».

يقودنا ذلك إلى الوقوف أمام علاقة الباحثين العرب بشبكة الإنترنت على مستوى الاستفادة منها لنشر مقولاتهم ونتائج أبحاثهم. هنا يرى العمري أن «شبكة الإنترنت أحدثت ثورة فعلية في مجال البحث العلمي»، مضيفاً: «أعتبرها فرصة لخلق توازن، ولو نسبي، بين الشمال والجنوب. ولذلك أسعى إلى النشر المفتوح وسهولة الحصول على المعلومة، وأدعو الباحثين العرب وباحثي الجنوب عموماً إلى استغلالها لتوصيل إنتاجهم المعرفي إلى خارج الدوائر التي ما زال بحكمها العقل الورقي، إن صحّ التعبير. وفي هذا إفادة واستفادة تشبه إلى حد بعيد نوعاً من التبادل العيني (barter) في زمن سيطر فيه اقتصاد السوق وسلعنة المعرفة».

محمد صالح العمري

> يساعد الإنترنت في خلق توازن نسبيّ بين الشمال والجنوب
>
> ما يزال العقل الورقيّ مهيمناً على معظم الإنتاج البحثيّ

يتذكّر العمري الأهداف الأولى التي جالت بخاطره وهو يفكّر في إنشاء الموقع. يقول: «قضيت فترة طويلة في التفكير بالموقع وبناء تصوّر له يفي بما أريد من ناحية، ويبتعد نسبياً عن العرض الممل لسيرة ذاتية علمية، من ناحية ثانية. هنا أعود إلى مسألة الشتات. بحكم تجربتي الشخصية والمعرفية، لا أشتغل في حقل محدّد أو داخل نطاق الجامعة فقط. كما أن مصادري متعدّدة اللغات. ففكّرتُ في إبراز الخيوط التي تربط هذه الاهتمامات أو هذه الذوات، إن صحّ التعبير، ويحترم تنوّعها في نفس الوقت. من هنا جاءت فكرة تحويل مفهوم الترافد الذي اشتغلتُ عليه في حقل الأدب المقارن والأدب العالمي إلى نوع من المنهجية تؤطر الموقع ككلّ. وفي الواقع، أعرّف الترافد على أنه كلمة ذات معنى خاصّ منحوت من العربية ولغات أخرى. فكلمة confluence، بمعنى التقاء أو تجمّع رافدين أو أكثر، تدلّ أيضاً على المكان الذي يلتقي فيه نهران أو أكثر».

يضيف: «أنا القواميس العربية الرئيسية، فتخبرنا أنّ الجذر ‹رفد› يحيل على معانٍ شتّى منها: رافد: أي نهر يصبّ في آخر ويزيده؛ ترفيد: أي تمنين؛ مرفاد (بكسر الميم، مثل مغزار أو مدرار) ومرافيد التي توحي بالوفرة والكرم. ونجد أيضاً الرفد بمعنى الفيض من الكرم والمساعدة. هنا أستعمل الترافد بمعنييْه الغربي (اللاتيني) والعربي، في مزيج لساني ومفهومي يحافظ على معنى السيَلان أو الانسياب. كما يوسّع المعنى العربي بإضافة مفهوم الرفد المتبادل، بمعنى الجريان مع أو بمعنى التمازج، ويتضمّن ذلك معاني الاختلاط والإضافة المتبادلة والتراصف والتكاتف. ولذلك فالموقع وقع تصوّره في شكل رحلة تحتوي على محطّات واستراحات يمكن للمتصفّح (أو المُبحر) أن يتوقّف عند ما راق له منها، فيقرأ أو يقوم بتنزيل نصوص أو التعليق عليها أو النظر في صور وموادّ سمعية بصرية. والموقع يشمل مشاريع بحثيّة وكتابات متفرقة ومقالات صحافية ومسودات في مجالات منها الآداب التونسية أو كتّاب بعينهم مثل محمود المسعدي أو أبو القاسم الشابي، أو تدخّلات في الأدب المقارن، وندوات وحوارات في مجالات الجامعة والمجتمع ومقالات سياسية... ولكلّ ذلك، اعتبره بيتاً مفتوحاً لمن أراد الزيارة دون التزامات أو بروتوكول معين أو شرط التخصص. وضمّنتُه أيضاً كتابات غير مكتملة، ربما لن أجد الوقت أو الجهد لإتمامها، فاخرجتها على علّاتها».

يلفتنا في موقع محمد صالح العمري أنه موقع إنكليزي اللسان أساساً، رغم أن موضوعَ عدد كبير من مواده عناصر من الثقافة العربية. يفسّر الباحث التونسي هذا الخيار: «الإنكليزية هي لغة أغلب إنتاجي العلمي باعتبار تكويني وعملي في جامعات إنكليزية وأميركية. ولكنّ المحتوى متعدّد اللغات. وقريباً سوف أطلق النسخة العربية للموقع. وبذلك ربما أقترب من الغاية الشخصية والطموح الفكري والحضاري للموقع».

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

بطاقة

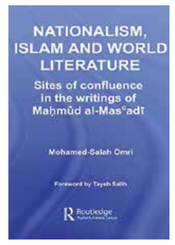

محمد صالح العمري من مواليد الحازم، في ولاية القصرين. بدأ دراسته في هذه البلدة على الحدود التونسية مع الجزائر قبل أن يدرس الانكليزية في «جامعة منوبة». حصل على درجتي الماجستير والدكتوراه في الأدب المقارن من «جامعة والأسْطن» في سانت لويس بالولايات المتّحدة، وتركّزت أطروحته حول أعمال وحياة الكاتب التونسي محمود المسعدي (الخلافة). انتقل بعد ذلك إلى بريطانيا حيث يعمل أستاذاً للأدب العربي في «جامعة اكسفورد».

إطلالة

انتفاضة 1987 عن تفصيلٍ مظلم من الذاكرة المشرقة

طفلٌ يسمع بالعملاء لأوّل مرّة

عندما سمعت لأوّل مرّة بالعملاء، كنت طفلا مارّاً مع والدي من سوق المدينة خلال الانتفاضة الاولى. عملاء ؟ يعني يعملون مع الاحتلال، وضدّ مَن؟

أمير داود

مع أن انتفاضة الفلسطينيين في العام 1987 تحتلّ مكاناً حميماً في الذهن عندي، وعند كثيرين من أبناء جيلي، نظراً لما أشاعته من نظافة في الشعور الوطني، وتمترس قلّ نظيره خلف شعارات قليلة كُبرى كان أوّلها وآخرها الوطن، إلّا أنّ المرحلة وما انطوت عليه من قيامة شاملة في الروح الوطنية، شهدت تسلّلاً لشريحة ضئيلة وسامة أعادت إنتاج نفسها في تلك الفترة ولم تتوقّف وظيفتها عند حدود تقديم المعلومة للعدوّ الصهيوني، بل تجاوزت ذلك إلى المساهمة في تسريب الأرض وتزوير ملكيّتها لصالح المستعمرين وبثّ الشائعة والتخريب وما يترتّب على ذلك من إرباك للحالة الجمعية آنذاك.

عندما سمعتُ لأوّل مرة بأمر العملاء، كنت طفلاً مارّاً رفقة والدي من سوق المدينة خلال الانتفاضة الأولى؛ رُفع منع التجوال لساعتين أو ثلاث حتّى يتمكّن الناس من الخروج لشراء مستلزمات الحياة قبل أن يُفرض المنع مرة أخرى. اصطحبني والدي إلى السوق لشراء بعض الحاجيات الضرورية، وأثناء عبورنا شارعاً يفصل سوق الخضروات إلى نصفين، علت أصوات غريبة من مكان بعيد. لحظات بعد ذلك، ظهرت مجموعة من الملثّمين، يحيطون بشخص بدا ذليلاً مستسلماً وهو يركض بينهم. كان الرجل الذي يركض بين الملثّمين هو من عملاء الاحتلال.

تضخّمت مفردة «عملاء» في ذهني وكأنّها كلمةٌ ناشزة من الكلام؛ صارت وكأنها تميمة في كتاب سحر أسود. عملاء!

امتزجت الكلمة مع مهابة المشهد: ملثّمون يحيطون بشخص في غاية الإذلال.

كانت هذه المرة هي التجربة الأولى التي أشهد فيها على حالة بهذه الكثافة والاستعصاء على الفهم؛ عملاء؟ يعني يعملون مع الاحتلال، وضدّ مَن؟ هكذا سأل الطفل الذي كنتُه.

حكوا عن العملاء أشياء غريبة، وقصصاً مخيفة. قالوا إنهم ينفّذون ما يؤمَرون به من الاحتلال تنفيذاً دقيقاً لا يتجاوز أدقّ الخطوط، وقالوا إنهم أذكياء جدّاً، ولولا ذكاؤهم ودهاؤهم العميق لما جنّدهم الاحتلال. وقالوا إنهم أغبياء جدّاً، ولولا غباؤهم لما فعلوا كلّ ذلك. قالوا إنهم يضاجعون أمّهاتهم وأخواتهم وكلّ ما يقعون عليه من بشر. وقالوا إنهم مدرّبون على استخدام كل أنواع الأسلحة؛ إنهم حين يُكتشف أمرهم يختفون ولا تعلم عنهم أي شيء بعدها. وقالوا إنّ الاحتلال يتقرّب منهم بالمال حين يكون هؤلاء في حاجة إليه، ويتقرّب إليهم بالنساء حين تكون النساء نقاط ضعفهم؛ يدفع أمامهم نساءً جميلات لعوبات كثيرات الكلام عن كلّ شيء، يتقرّبن من الرجال في غرف مغلقة ملغّمة بالكاميرات والمايكروفونات، وحين تتدافع الأنفاس ويسيل العرقُ وتتكاثف اللزوجة في الغرفة، تبدأ القصة التي لا تنتهي على خير.

كان الفلسطينيون يقتلون العملاء وكأنّهم يقتلون جنوداً إسرائيليين، بالحماسة النقيّة التي يشوبها التسرّع المفرط والقليل من التخطيط والمنهجية. مرّات يحتفلون بقتل من اشتُبه بأمرهم، ودون تأكّد مرّات، أكثر ممّا يحتفلون بقتل الجنود. لا أحد يستطيع تخيّل حجم الأذيّة التي أحدثها هؤلاء العملاء في الجسد الفلسطيني، بالدهاء المكر مرّات وبالغباء الذي ليس له حدود مرّات أخرى. لقد أشرعوا الخاصرة الرخوة كلّها أمام الصهاينة، حتّى صرنا مثل مسحة أسفل المجهر.

ظلّت هذه الأسئلة عصيّة على الإجابة عندي لوقت طويل حتّى وصلت عائلةٌ غريبة الأطوار - ولعلّها لم تكن غريبة بل تخيّلتها كذلك - للسكن في العمارة التي كنّا نسكنها في وسط المدينة. كانت العائلة مكوّنة من رجُل طويل القامة، في منتصف الثلاثينيات، وزوجة بدت لي قصيرة، وطفلين في عمرنا. لم يكن أحد من كلّ سكان العمارة يعرف مَن هُم هؤلاء ومن أين جاؤوا، وكان من المؤكّد أنهم ليسوا من المدينة التي يكاد يعرف كلّ سكّانها بعضهم بعضاً. أغلق الساكنون الجدُد باب شقّتهم ولم يخرجوا منها بعد ذلك. أو أنهم خرجوا لكنّنا لم نعرف. بعد أسبوعين من قدومهم ومن أسئلتنا وفضولنا، جاءت مركبة شرطة إسرائيلية إلى الحي، وتوقّفت أمام العمارة السكنية، هبط منها ضابط وبقي شرطيّ آخر في المركبة؛ صعد الضابط إلى العمارة، طرق باب شقّة العائلة الغامضة ودخل؛ أمضى في الداخل وقتاً ثم غادر؛ شاهد معظم سكّان العمارة والحيّ ما حدث وسط ذهول كبير.

(كاتب من فلسطين)

> لم افهم لماذا جاء ضابط إسرائيلي لزيارة جيراننا امام الجميع

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

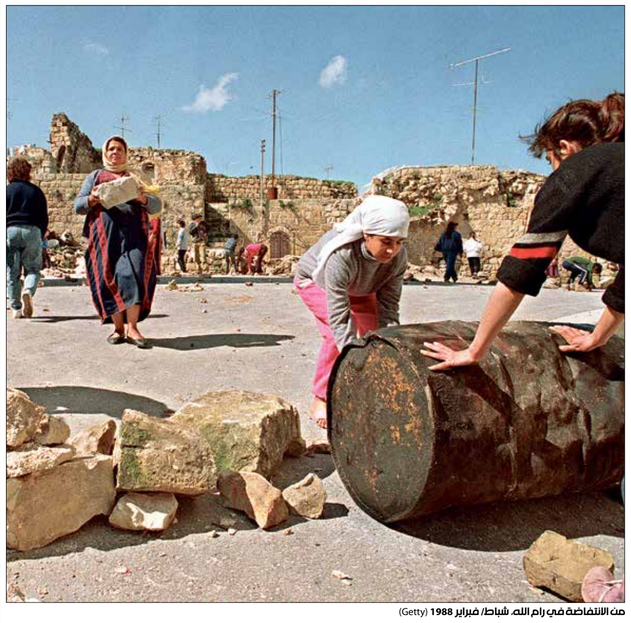
من الانتفاضة في رام الله، شباط/ فبراير 1988 (Getty)

شعر

حَواشٍ تطول بسلاسل الأرَق وغياهب الإنشاد

مريمُ خَدّرَها قمرٌ حاسرْ

حسن نصّور

الأسرار

I. النجم

مَجْدولةٌ بِلآم الأمَر، مَعْقودةٌ بالحواشي
إلى جُذوعِ الكَلِمات، مَوْصولةٌ بالصَحائِفِ
القَمريّةِ التي انْبَثَتْها القَبائِلُ قبْلَ الأشوارِ،
وَلا مُدُنَ... بَلْ خِيامٌ وَرَغائِبُ وَاسْفار.

■

تَجري مِنْ تَحْتِكِ الأنْهارُ، فَتَسْطَعينَ. وَهَذا
الجَفاءُ الجَفاءُ الجَفاءُ... تَسْطَعينَ بالقَرابينِ
المَشْحورَةِ المُدَمّاةِ المَنْقُولةِ سِرّاً على البَغْلاتِ»
مِنَ المَعابِدِ وَالسّاحات.

■

تَسْطَعينَ بالأرْقِ. صَليلُكِ شاهِقٌ مَسْتورٌ.
شُبّاكِ اللّيْلُ وَالغَرائِبُ. قُبلَتُكِ قَفيرٌ هائِجٌ. عَسَلُكِ
لَيْسَ يُشْفي عَليلَ الإلهِ. تَسْطَعينَ وَتَسْطَعينَ.
وَأرى دَمَكِ كُلَّهُ... بالفِراسَةِ التي تَبُثّها عَيْناكِ
في المَساكِنِ الواطِئَةِ وَغُرُفاتِ العِباد.

■

تَسْطَعينَ بالألْفاظِ التي نُحِتَتْ مَرّةً بالصَّراعَةِ
وَمَرّاتٍ بالنَّواح. تَجْري مِنْ تَحْتِكِ الألْفاظُ،
فاتِحَةً بُطْنَ الخَوْفِ، مُرْتَضَةً كالمَشْهَدِ المُذْهِلِ
الأخيرِ على بَوابَةِ الإلهِ. تَسْطَعينَ بالسِّحْرِ
الذي لَمْ يُقَلْ بَعْدُ، بالسِّحْرِ الذي قِيلَ قَبْلَ
خُروجِ الزّمانِ مِنْ فَمِ التِّنّين، وَدَوْرَتُهُ الغَرّاءُ على
حِجارَةِ سَبَأ وَعَلى ظُهورِ المَلِكاتِ العَارِياتِ
السَّبايا خاسِراتٍ ساحِراتٍ قُلوبَ النّاس.

■

تَسْطَعينَ بالوُشومِ. ميمٌ شَفيفَةٌ سَوْداءُ مِنَ
السُّرّةِ إلى حَيْثُ الغُدران. تَسْطَعينَ بالعُلومِ
الّتي تُلْهِبُ الغَيْبَ بالمَنايا والهَمَزات.
تَسْطَعينَ... إلى آآآآآآخِرِ النَّجْم.
تَسْطَعينَ...

إلى
جَوْفِ
البادِيَة.

■

II. سين

يُحْدِقُ بِكِ الغَيْمُ. تُحْدِقُ بِكِ الإلهِ. الإجْسادِ
الذّائِبَةِ عَلى نَحْرِكِ حَتّى الجَرَيان. تُحْدِقُ بِكِ
الأشْياءُ كَهالاتٍ تَبْطِنُ ما لا يَظْهَرُ إلّا لِذَوي
الألْبابِ. تَقولين: أنا المِرْآةُ، وَأنا الماءُ، وَأنا
السَّيْلُ الفائِضُ من غَسَلِ الأشْياء. تَقولين:
اسْمي قُرَيْبي... إلى السَّماء. تَقولين: أنا سِنُ
السَّماءِ. ادْخُلْ، وَلا تَلْمَحْ مِنْ دُخولِي اللّغَوِيّ
إلّا آثارَ قَدَمَيْ الحافِيَتَيْنِ تُزْهِقانِ الأرْواحَ على
صُحُفٍ مَحروقَةِ النِّزْوات.

■

يُحْدِقُ بِكِ الغَيْمُ. تَقولين: الصَلاةُ سِوارٌ
مُذَهَّبٌ وَأنا فِضِّيَةُ الفُؤاد. الصَلاةُ انْتِظارُ
النِّنِّينِ المُضَرَّجِ بِدَمِ القُدّيس. الصَلاةُ انْتِظارُ
لَنْ يَحْدُثَ أبَدّاً. الصَلاةُ انْتِظارٌ لم يَحْدُثْ قَطّ.
تَقولين: يا حَسْرَتا على وَجْهِكِ الذي يَرْدُمُ
الشّوكَ بالإشْراقِ. يا حَسْرَتا على جُثّامَتِكِ
الذي لا يَرِقُّ وَلا يَرِقُّ. وَلا يَنْبِلي. يا حَسْرَتا على
صَدْرِكِ الذي يَشْحَنُ الغُرْفَةَ بالكَآبَةِ وَالحَواء.

«الانتظار» لـ إيلي كنعان (لبنان)، زيت على قماش، 1993

فعاليات

عند الثامنة من مساء غد، يُقام في «مترو المدينة» ببيروت، عرضٌ مسرحي بعنوان **ستّ الدنيا** من إخراج **هشام جابر** و تمثيل **زياد عيتاني**. يروي العمل قصّة امراة من بيروت تُسلّي وحدتها باستعادة احداث حيا تها على مدى ثمانين عاما، وما مرّ بمدينتها من تغيُّرات منذ منتصف القرن الماضي، ومحاكمةِ ابطالها.

حتى منتصف الشهر المقبل، يتواصل في «قصر الرّيّاس» بالجزائر العاصمة معرض **المنسيّات من التاريخ**، والذي ينقسم الى جانبَين؛ يضمُّ الاوّل لوحاتٍ للتشكيلية **فاطمة الزهراء بوعاوني**، والثاني بورتريهاتٍ مرفقةً بسِيَر لنساءٍ جزائريات؛ من الملكة الامازيغية ديهيا الى مجموعةٍ من ضحايا «العشرية السوداء»، مروراً بمناضلات في الحركة الوطنية والثورة التحريرية.

في «رواق الفن المعاصر محمد الدريسي» بطنجة، يتواصل حتى الثالث والعشرين من الشهر المقبل معرض **حلم في غابة رائعة** للتشكيلي المغربي **إلياس سلفاتي**. يضمّ المعرض، الذي افتُتح الخميس الماضي، لوحاتٍ تحضر فيها الغابة كرمز للتعايش والتسامح والهجرة والسلم في مقابل الحرب والتمييز والتغيّر البيئي.

خريف المُحبّ عنوان معرضٍ للفنّان المصري **محمد عيد** يُفتتح عند السابعة من مساء غد في «قاعة الباب سليم» بدار الاوبرا المصرية في القاهرة، ويستمرّ حتى الثامن من الشهر المقبل. يضمّ المعرض لوحات تتناول العلاقة المركّبة بين المرأة والرجُل، من خلال رسومات تجسّد كائنات بشرية بأجساد حيوانية.